من تاريخ النّقد العربّي إلى تمثّل وتوصيل المفاهيم النّقديّة الغربيّة

– رؤيّة معرفيّة في نقد النّقد–

From the Ancient Arabic Criticism to the Transition of

The western critical concept –cognitive vision in criticizing criticism–

أ. عبد الرّحمان حجو‡

تاريخ الاستلام: 23-07-2019 تاريخ القبـول:01-12-2019

ملخّص: يبحث مقالنّا في قضيّة تمثل النّقد الأدبي القديم، كما تمثّله صاحب كتاب: «تاريخ النّقد الأدبي عند العرب: نقد الشّعر من القرن الثّاني حتى القرن الثّامن الهجري»، ويبحث أيضا في تمثّل النّقد الأدبي المعاصر عبر كتاب: «دليل النّاقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًّا معاصرًا».

إشكاليتنا تطرح تساؤلات عدّة: كيف تمثّل هؤلاء النّقاد النّقد الأدبي؟ وما المنهج والقضايا والمصطلحات التّي تم اكتسابها والتّركيز عليها من خلال رؤيتهم لسيرورة النّقد حسب الحقبة التّي تم مقاربتها؟ وهل هذه السّيرورة هي حلقة متواصلة من القديم إلى الحديث؟ أم أنّ هناك قطيعة معرفيّة وفجوات علميّة بين النّقد القديم والنّقد الحديث/المعاصر؟ فهذه افتراضاتنا.فمع "إحسان عباس" يتم تمثّل ومعرفة: اتجاهات النّقد العربي القديم ومعالمه ومنهجه وتطوّره، ومن كتاب «دليل النّاقد الأدبي» يتم توصيل قضيّة: ضرورة الوعي بالمصطلحات والتّداول المعرفي في تكوين النّاقد المعاصر، وهذا أُفق انتظارنا.

كلمات المفاتيح: تاريخ النّقد، سيرورة النّقد، نقد النّقد، المصطلحات النّقديّة تمثّل.

Summary: Our article examines the issue represents ancient literary criticism, as represented by the othor of the book: «History of literary criticism among Arabs: from the second century until the eight century AH», He also examines contemporary literary

‡المركز الجامعي مرسلي عبد الله، الجزائر، البريد الالكتروني:hadjou.abderrahmane@gmail.com (المؤلّف المرسل).

criticism through a book: «directory of literary critics: lighting for more than 70 currents and contemporary monetary terms».

Our problem raises several questions: how these critics represent literary criticism? And the methodology, issues and terminology that have been acquired and focus on them through their vision of the process of criticism according to the earthnut has been approached? Is this process a continuous hair out from old to modern? Or is there a rupture of knowledge and scientific gaps between ancient criticism and modern criticism?. These are our assumption.

With «Ihasan Abbas» they are representative and knowledgeable: the trends of the ancient Arab criticism and its characteristics, methodology and development, and through the book of the «literary critic's guide» the case is connected: the need for awareness of terminology and knowledge exchange in the composition of the contemporary critic. This is the horizon waiting for us.

Key words : History of criticism, process of criticism, cach criticism, terms of criticism, represent.

1.المقدّمة: لا يُجادل أحدٌ في مدى صعوبة فهم **إنتاج الفكر النّقدي**، لكن هذا الإنتاج يُعتبر من بين الأعمال الفكريّة والنّقديّة التّي أثرت بعمق في مشهد الخطاب النّقدي خاصّة والأدبي عامّة، فالنّقد سار عبر تحوّلات فكريّة هائلة، وتراكمات معرفيّة متنوّعة.

فكما هو معلوم مر النّقد العربي عَبرَ مسارين مهمين، اصطلح عليهما بالنّقد العربي القديم، والنّقد العربي الحديث والمعاصر، فالمسار الأوّل يمتد منذ منتصف القرن الأوّل الهجري/ القرن السّابع الميلادي، وصولا إلى القرن الثّامن الهجري/ القرن الرّابع عشر ميلادي، أي من كتاب ابن شُهيد "التّوابع والزّوابع" أو قبله بقليل إلى كتابات ابن خلدون ومعاصريه، كصاحبه لسان الدّين بن الخطيب. أمّا المسار الثّاني فإنّه يمتدّ منذ نهايّة القرن التّاسع عشر ميلادي، وصولا إلى قرننا هذا وما يكتبه النّقاد المعاصرون، أي من مرحلة كتاب "الوسيلة الأدبيّة إلى العلوم العربيّة (1875–1897)" لحسين المرصفي، إلى مرحلتنا وما يُكتب في أيامنا هذه، مثل كتاب "الفكر النّقدي الأدبي المعاصر: مناهج ونظريات ومواقف" للكاتب حميد لحميداني (ط2 2012)، أو ما كتبه سعيد يقطين تحت عنوان "الفكر الأدبي العربي: البنيات والأنساق"

(ط1، 2014)، أو ما كتبه قبلهما بقليل محمّد الدّغمومي "نقد النّقد: وتنظير النّقد العربي المعاصر" (ط1، 1999).

1 –التّمثُّل والتّوصيل: في البدايّة يُقصد بالتّمثُّل تصوّر الشّيء، ففي معجم الصّحاح: «مَثَّل تَمثيلاً: إذا صَوَّرَ مِثَالَه بِالكتابةِ» وكما جاء في المعجم الوسيط: «تَمَثَّلَ الشّيء: تَصوَّرَ مِثَالَهُ»[1]، ويُقصدُ به «أنْ يُدمجَ المتلقي ما يتعرَّف عليه في ثقافته الأصيلة ومُرتكز ثقافة (الكاتب)»[2] والتّمثُّلُ هو إحدى أوَاليَّاتُ التّثَاقف كما عبر عن ذلك

محمّد مفتاح، ويعني به أيضا «إدماج المعرفة الجديدة التّي هي الفرع أو الغائب... في المعرفة القديمة التّي هي الأصل والشّاهد لعلاقة موجودة بين الطّرفين»[3]. فالتّمثّل عنده معرفة تقريبيّة تهتم بالكليات لا بالتّفصيليات، وقد نبّه إلى أنّ هذا المفهوم (التّمثّل) يناظر Assimilation الذي يقترحه بياجي ويقترح آخرون Homogénéité. وهو مرتبطٌ بالذّهن والعقل، أي ما يتصورهُ الذّهن وما يعقله من أفكار ونحن رَبطنا التّمثُّل بالنّقد العربي، فهَدفُنا أنْ نتَمثَّل نقدنا العربي عبر عصوره القديمة والحديثة وما يهمُّنا الكُليات لا الجُزئيات، وكي نُسهّلَ على أنفسنا اتّكَأْنَا واسْتَنَدْنَا على كتاب حاول صاحبه أنْ يَتَمثَّل سَيرورة النّقد الأدبي عند العرب من القرن الثّاني حتّى القرن الثّامن الهجري. كما تَعَكَزْنَا واسْتَعَنَا بكتاب "دليل النّاقد الأدبي" كي نتمثَّلَ أهم التّيارات والمصطلحات النّقديّة المعاصرة ونسير على حذو صاحبي الكتاب "ميجان الرّويلي وسعد البازعي".

أمّا التّوصيل فيُقصدُ به التّبليغ، «فَوَصَلَ إليه يَصِلُ وُصُولاً أي بَلَغَ»[4]، وهو مُرتبطٌ في مقالنّا هذا «بإنتاج المعنى وتأويله»[5]، وهذه إحدى مفاهيم التّواصل في ميدان الخطاب، وهذا التّوصيل مُرتبطٌ بالتّمثُّل، أي بعد تمثُّل شيء وتصوره، يتم توصيله والتّعبير عنه وتبليغه للمتلقي.

والقصدُ كل القصد من هذا التّمثُّل والتّوصيل تشكيل خطاب نقدي، مع العلم أنَّ "التّشكيل" مُرتبطٌ بالفهم الفُوكوي (نسبة إلى فوكو)، إذ هو مرتبطٌ بوصف قواعد تكوين الأشياء وتشكُّل المفاهيم ومواقفُ الذّوات انطلاقًا من تشكيلات مَلفوظات أرشيف[6]، أي غايّة هذا المقال البحث في تشكُّل الخطاب النّقديّ العربيّ القديم والمعاصر كما يتّضح في الكتابين المُعتمد عليهما.

2-تشكّل النّقد العربيّ القديم: يتم التّشكّل النّقدي عبر الكتابات المُتراكمة قديمها وحديثها، ولعلّ من أهم الكتب التّي حَاولت الإحاطة بتشكّل النّقد العربي القديم، هو ما كتبه جيل إحسان عباس، باعتبار أنّ هذا الجيل كان متشبّعًا بالثّقافة العربيّة، ومُلِمًا بأصولها المعرفيّة وكتاباتها الإبداعيّة والنّقديّة، وتَعَلَمَ على أيدي رُواد النّهضة والتّجديد في الخطاب النّقديّ العربيّ، أمثال طه حسين.

فقد حاول صاحب كتاب "تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب – نقد الشّعر من القرن الثّاني حتى القرن الثّامن الهجريّ-" أن يتمثّل ويقدّم صورة عن النّقد الأدبيّ عند العرب منذ أواخر القرن الثّاني الهجريّ حتى القرن الثّامن، أو من الفترة الممتدة بين الأصمعي وابن خلدون في مشرق العالم الإسلامي ومغربه[7]. وبَيَّنَ كيف تشكّلت قضايا نقديّة من عصر إلى عصر؟ وكيف تشكَّل مفهوم النّاقد وتحدّد من كاتب إلى آخر؟ فعبر هذه القرون الثّمانيّة تشكّل النّقد العربيّ القديم، واتّضحت معالمه وارتسمت صُورته، ومن أهم القضايا التّي عَرفَها نُقادنا القدماء نجد:

① قضيّة أنّ لكل شاعر شيطان[8]: وأهم مُؤلّف اهتم بها وفصَّل فيها هو كتاب "التّوابع والزّوابع" لابن شُهَيْد الأندلسي (التّابع: الجِنّيّ والزّوبعة: الشّيطان أو رئيس الجن).

② قضيّة اللّفظ والمعنى: هذه القضيّة شغلت النّقاد كثيرًا، منهم: المبرّد[9] وابن قتيبة[10] وابن طباطبا[11] وعبد الكريم النّهشلي[12] وغيرهُم كثير.

③ قضيّة المطبوع والمصنوع أو الطّبعة والصّنعة: طرح هذه القضيّة ابن قتيبة[13] والمرزوقي[14] وابن رشيق[15] خاصّة.

④ قضيّة الوحدة والكثرة في القصيدة: وخير مَن عبّر عن هذه القضيّة نجد ابن قتيبة وابن طباطبا والحاتمي وابن رشيق، وهذا الأخير استعار مفهومها من الحاتمي وردّد النّقاد من بعد قوله، أي قول ابن رشيق في الوحدة والكثرة.

⑤ قضيّة الصّدق أو الكذب: وهذه القضيّة بيّنت الصّراع حول الشّعر، هل أعذبُهُ أصدقُهُ؟ أم أعذبُهُ أكذبُهُ؟ وأهم من أثارها نجد ابن طباطبا، وعبد القاهر وقدامة، وحازم. وقضيّة الصّدق أو الكذب في الشّعر فتحت زاويّة نظر أخرى، وهي إقامة المقارنة بين الأقاويل الشّعريّة وغيرها من الأقاويل كالبرهانيّة والخطابيّة.

⑥ قضيّة المفاضلة أو الموازنة بين شعرين أو شاعرين، وقد فَصَلَ الحكم في هذه القضيّة الآمدي، بعدما كثر التّأليف فيها.

⑦ قضيّة السّرقات الشّعريّة: لقد ذاع صيت هذه القضيّة كما هو معروف وتفاوت النّقاد في تناولها، فمن النّقاد مَنْ تناولها دون حِدَّة، مثل: الآمدي أو القاضي الجرجاني أو حازم القرطاجني، ومن هم مَن كان بحثه في المشكلة مصحوبًا بالنّقمة والغيظ كالحاتمي وابن وكيع والعميدي، وقد كان الدّافع لنشوء هذه القضيّة هو اتصال النّقد بالثّقافة، ومحاولته أنْ يثبت النّاقد كفايته في ميدان الاطلاع، والحقّ أنّ جواب حازم على هذه القضيّة كان رصينًا ومقنعًا[16].

⑧ قضيّة العلاقة بين الشّعر والأخلاق أو الشّعر والدّين: بدأت هذه المشكلة مبكّرة في تاريخ النّقد العربي وأهم من تصدّى لهذه القضيّة الأصمعي وابن خلدون ونجد آراءً لنقّادٍ آخرين أمثال: الصّولي والقاضي الجرجاني والباقلاني وابن شرف وابن بسام، ومسكويه وابن رشد وابن حزم.

تلك هي أهم القضايا الكبرى، وما يوجد من قضايا جزئيّة أخرى، فهو داخل ضمن قضيّة من القضايا الكليّة كقضيّة حديثهم عن تعريف الشّعر وتبيان الفروق بين النّظم والنّثر[17]، كما تحدثوا عن البديهة والرّويّة في طريقة نظم الشّعر، وعن بواعث الشّعر ومهيئاته، وكذلك تناولوا الكلام عن أغراض الشّعر وقضيّة القدماء والمحدثين[18].

تلك هي أهم القضايا التّي طَرحها كِتابُنا، وحاول أهم النّقاد الفصل في إشكالياتها وهذه القضايا النّقديّة تشكّلت عبر محطّات زمانيّة مختلفة، وقد عالجها كَاتبنا بطريقة منهجيّة تاريخيّة عبر مختلف أزمانها وأماكن نُقادها كما يُبين ذلك محتويات الكتاب وعرض أهم النّقاد الذين تناولوا تلك القضايا:

1. الشّعر العربي بين الإلهام وكدِّ القرائح: في هذه القضيّة تم عرض فكرة تنقيح الشّعر وتجويده، وقضيّة الالهام وأنّ لكل شاعر شيطان، حيث تم ذكر أهم الشّعراء وشياطينهم الذين اشتهروا بهم، وقد اعتمد في ذلك على كتاب ابن شُهيد خاصّة (التّوابع والزّوابع) لأنّه فصل في هذه المسألة.
2. النّقد في أواخر القرن الثّاني: طرحت هنا فكرة أنّ الجو مهيأ لظهور النّاقد وتميز الأصمعي بين الرّواة أكبر دليل على ذلك، فالنّاقد هنا راويّة متذوق لا أكثر ولا أقل، وفصل في العلاقة بين الشّعر والأخلاق.
3. المحاولات النّقديّة في القرن الثّالث: وهنا ظهرت عدّة محاولات نقديّة مع نقاد وكتاب كبار أهمّهم: [الجمحي، ثعلب، المبرد، الجاحظ، ابن قتيبة، ابن المعتز] حيث قُدِّم تعريف للشعر، وذكر أهم موضوعاته، وعلاقة النّقد بالاعتزال والشّعوبيّة، وظهرت قضيّة المنظوم والمنثور تأثرًا بذلك.
4. الاتّجاهات النّقديّة في القرن الرّابع:

- اعتماد الذّوق الفني في إنشاء نظريّة شعريّة: وأهم من عبّر عن هذه المسألة ابن طباطبا في كتابه: عيار الشّعر؛
- الصّراع النّقدي حول أبي تمام –أبو تمام لدى نقاد القرن السّابق–ومن أهم النّقاد الذين تم ذكرهم في هذا الصّراع نجد: ابن عمار، الصّولي، بشر بن يحي النّصيبي، الآمدي، الحاتمي؛
- النّقد والأثر اليوناني: في هذا المبحث تم التّطرق إلى علاقة النّقد بالفلسفة اليونانيّة، ومن أهم النّقاد والفلاسفة الذين برزوا في هذه القضيّة نجد: قدامة بن جعفر، الفارابي، أبو حيان التّوحيدي؛
- المعركة النّقديّة حول المتنبي –المتنبي في طريقته وشخصيّته يمثل مشكلةً كبرى للنّقاد– شغلت هذه القضيّة معركةً حقيقيّة بين النّقاد أمثال: الحاتمي، أبو العباس النّامي، الصّاحب بن عباد ابن جني، ابن وكيع، القاضي الجرجاني؛
- النّقد وفكرة الإعجاز، من أهم القضايا التّي تبين علاقة النّقد بالدّين وكان لها أثرٌ كبير في تطور النّقد وتشكّله، ومن أبرز النّقاد الذين تصدوا لذلك: الرّماني الخطابي، الباقلاني، أبو هلال العسكري.

5. النّقد الأدبي في القرن الخامس:

- استمراريّة المعركة النّقديّة حول المتنبي: وهي قضيّة تابعة للقضيّة التّي سبقتها، فهؤلاء النّقاد: (الثّعالبي، العميدي، المعري، ابن فُورجة، ابن سنان الخفاجي) تطرقوا إلى عدّة قضايا منها: السّرقات الأدبيّة، الشّعر والنّظم، أسباب الغموض في الشّعر، قضيّة القدماء والمحدثين؛
- نظريّة عمود الشّعر في صورتها المكتملة: وخير من مثلها المرزوقي، حيث بيّن المعايير المعتمدة في عمود الشّعر؛
- النّقد العربي وكِتاب الشّعر في القرن الخامس: وهذه قضيّة مرتبطةٌ بكتاب فن الشّعر لأرسط وأفضل من عرض هذه القضيّة ابن سينا، وظهرت قضايا جزئيّة تابعة لهذه القضيّة منها: المحاكاة؛
- النّقد وفكرة الإعجاز: إنّ من أهم العلوم العربيّة التّي كان لها ارتباطٌ وثيق بالنّقد وأسهم في تشكله هو علم البلاغة، وأفضل من أسس إلى هذا العلم هو عبد القاهر الجرجاني.
- النّقد الأدبي في القيروان: لقد أعاد نقاد القيروان: (عبد الكريم النّهشلي، ابن رشيق، ابن شرف) إعادة التّطرق إلى أهم القضايا النّقديّة التّي عرفها أهل المشرق وقد أسهموا في تطور النّقد أيضا حتى تشكّلت مميّزات لنقدهم بل أصبحت مدرسةً قائمة بذاتها (مدرسة القيروان).
- النّقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس: لقد عرف النّقد حركةً مميّزة في الأندلس وهذا تأثرًا بالوضع الأندلسي وشعره، وأهم مجالات هذا النّقد نجدها مع: القالي، ابن عبد ربه، ابن شُهيد، ابن حزم.

6. النّقد الأدبي في القرنين السّادس والسّابع: وفي هذه المرحلة اكتملت صورة المدرسة النّقديّة الأندلسيّة والمغربيّة، ومن أهم النّقاد الذين مثّلوا هذه الفترة: ابن خفاجة، أبو طاهر الاشتركوبي، ابن بسام، ابن قزمان، ابن عبد الغفور، ابن خيرة المواعيني، ابن رشد، الشّقندي، ابن دحيّة، ابن سعيد الرّندي، حازم القرطاجني، وقد تم إعادة التّطرق إلى قضايا سابقة، كقضيّة المفاضلة بين الشّعر والنّثر، وقضيّة المتنبي، وعلاقة الشّعر العربيّ بالثّقافة اليونانيّة، ولكن ظهرت قضايا جديدة منها: المفاضلة بين الأندلس والمغرب، وقضيّة الموشح.

- النّقد في مصر والشّام والعراق في القرنين السّادس والسّابع: ومن أهم القضايا التّي ذكرها هؤلاء النّقاد: ابن سناء الملك، ابن جبارة، ابن ظافر، ابن أبي الأُصبع ابن الأثير، المظفر بن الفضل نجد قضيّة قواعد الموشح، وتحديد مقياس جودة الشّعر وإعادة تعريفه.

7. النّقد الأدبيّ عند ابن خلدون ولسان الدّين بن الخطيب، من أهم القضايا التّي اشتهر بها ابن خلدون سلامة الملكة، أمّا ابن الخطيب فالشّعر عنده ظاهرة إنسانيّة محكوم بالوزن والقافيّة.

8. نَظرة ختاميّة في صورة التّطور النّقدي وقضاياه الكبرى: وهي خلاصة مركزة حول مفهوم النّقد ومبادئه وأهم نقاده وأعلامه وقضاياه ومصطلحاته وأزمته ودور النّاقد.

وقد تحوّل مفهوم النّاقد وتشَكَّلَ على مَرِّ الزّمن والمراحل المختلفة لسيرورة النّقد ومن أهم تحديدات مفهوم النّاقد عند القدماء نجد: نّاقد الرّاويّة المتذوق، وهذا بدأ تشكّله منذ زمن النّابغة الذّبياني، ويُقصد «بالتّذوّق القدرة على التّمييز»[19]، «فالنّابغة في سوق عكاظ ناقدٌ، وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في تفضيله زهيرًا نَاقدٌ والرّواة الذين مَيَّزُوا –بتعميم شديد–خصائص جرير والفرزدق والأخطل كانوا نُقّادًا»[20].

والأصمعي راويّة متذوّق للشّعر فهو ناقدٌ متميّز، وبعد هذا جاءت الحاجة إلى ناقدٍ ذي منهج وقدرة على الفحص أثارها ابن سلام الجمحي لأوّل مرّة حيث اصطدم بقضيّة الانتحال. فالنّاقد عند ابن سلام راويّة حَصيف مثل خلف الأحمر، وهو صاحبُ بصيرة يكتسبها من روايّة النّماذج الصّحيحة وحفظها ومن ثم تتربّى ملكة النّقد والتّمييز لديه[21]، فابن سلام ناقد حصيف ذو بصيرةٍ ومَلَكَةٍ نقديّة، وقدرة على التّمييز بين الجيّد والرّديء، وهذا هو النّاقد الذي ألّف لنا كتاب "طبقات فحول الشّعراء".

وبعد مرِّ الزّمن ازدادت سُلطة هذا النّاقد حتّى أصبح هو الحَكَم الوحيد أو هو "المُستبد"، ولم يعدّ النّاقد راويّة بصيرًا فقط، لأنَّ الثّقافة وحدها لا تصنع ناقدًا، إنّما النّاقد امرؤٌ متخصص خبيرٌ في شؤون الشّعر. فالنّاقد هو الحكمُ الوحيدُ المتخصّصُ يجب أنْ يُسلَمَ الأمرُ إليه، ولا يردُ على حكمه[22]، وأهم قضيّة اكتشفها هذا النّاقد هي قضيّة الموازنة، وخير منْ مَثّله هو الآمدي ومُؤلفه المميّز: "كتاب الموازنة بين الطّائيين". ثم ازداد تعمّق مفهوم النّاقد وتشكّله، فالنّاقد يقفُ عندَ مَا تُمكنه أدواتُه من الحكم فيه، وهمّه البحث عن الإعجاز والكمال، وصورة هذا النّاقد نجدها متجسّدة مع الباقلاني والقاضي الجرجاني واكتملت الصّورة مع عبد القاهر الجرجاني، فالنّاقد هنا هو الذي يستطيع أنْ يحلّ المشكلة.

بعد أن اتّضح مفهوم النّاقد واكتمل تحديد دوره ومهمّته، ظهرت الحاجة إلى إبداع المصطلحات النّقديّة، وقد عمل نُقادُنا على ضرورة اختيار المصطلح الحي، أي المصطلح المستمد من حياة البداوة[23] والحياة المعيشة تمامًا كما فعل الخليل ابن أحمد الفراهيدي في اختيار مصطلحات العروض[24]، وحسبنا أنْ نذكر مصطلح "عمود الشّعر" الذي نلقاه لأوّل مرة عند الآمدي، فإنّه وثيق الصّلة بالخباء[25].

وتَطوّرَ المصطلح واتسع مع الاحتكاك بعلوم العربيّة، ومختلف التّوجّهات والمذاهب كالاعتزال والبلاغة وخير مثال على ذلك: الصّلة بين النّقد وكتاب فن الشّعر لأرسطو، حيث ظهرت مصطلحات من نوع آخر مثل: «الأقاويل الشّعريّة والمحاكاة والتّخييل»[26].

الجميل في الكتاب أنّه قدّم لمحة عن حياة أهم النّقاد، وكتبهم التّي اشتهروا بها كما أنّنا نجد موسوعيّة هائلة في ذكر المراجع والمصادر التّي استفاد منها، وهي أغلبها من أُمَّات الكتب النّقديّة، التّي ألّفها آباؤنا، والتّي شكّلت نقدنا العربي القديم ويلاحظ أنّ الكتاب مختصر على الشّعر دون النّثر، وما جاء من حديث على النّثر فما هو إلاّ من باب المقارنة بينه وبين الشّعر، ولعلّ اهتمام نقادنا بالشّعر أكثر من النّثر هو من باب تفوق هذا الجنس الأدبي على غيره كالخطابة والمقامة والسّيرة في أدبنا العربيّ القديم، فثقافة قدمائنا هي ثقافة شعريّة بامتياز.

3–توصيل النّقد المعاصر وإدراكه: تلك هي سيرورة النّقد وتشكله كما أراد أن يتمثّلها صاحبنا إحسان عباس وهي صورة شاملة لنقدنا العربي القديم، فهذا النّقد أصيلٌ في ذاته يعبر عن فلسفةٍ نابعة من العقيدة والدّين أمّا نقدنا العربي المعاصر فلعلّ خير كتاب أراد أنْ يتمثّل سيرورته هو كتاب: "دليل النّاقد الأدبي" لصاحبيه ميجان الرّويلي وسعد البازعي. وقد قدّم عبد الوهاب المسيري دراسة في نقد النّقد إلى هذا الكتاب فقال: «يتميز (دليل النّاقد الأدبي) بأنّه من أوّل المعاجم التّي تُحاول أنْ تَتجاوز النّموذج المعلوماتي وصولاً إلى نموذج أكثر تركيبيّة ورحابة، ومؤلّفا الدّليل يفعلان ذلك بوعيٍ كامل، ويواجهان المشكلات الفلسفيّة النّاجمة عن موقفهما...»[27].

ويبيّن النّاقدان موقفهما ومنهجهما في كتابهما وهدفهما قائلين: «...أنّنا نقدّم مجموعة من أبرز المصطلحات والمفاهيم والاتجاهات الشّائعة في النّقد العربيّ المعاصر... وإنّما أردنا أنْ نقدّم مادة مفيدة للمختصّين وغير المختصّين... أمّا معيار الانتقاء الذي اتبعناه فهو بالطّبع أهميّة المفهوم أو الاتجاه ودرجة تأثيره وانتشاره... إنّنا في مجمل ما قدّمناه نسعى إلى تقديم **رؤيّة** تفسيريّة وتقويميّة بعيدًا عن وهم الموضوعيّة من ناحيّة، وبعيدًا عن المعالجة الإيديولوجيّة الفجة، ثمّة معلومة يهمنا أن تصل كما هي، لكن ثمّة رؤيّة حول هذه المعلومة يهمّنا أنْ تصل أيضا... إنّنا نخوض في صناعة إنسانيّة تشكلها الآراء والرّؤى وتتمخّض عن خصوصيات الثّقافة وتحيزاتها... إنّنا نرى هنا ما رآه إدوارد سعيد في حديثه عن النّظريات في تنقلها من بيئة ثقافيّة إلى أخرى... ما نطمح إليه في تقديمنا لهذه المجموعة من المفاهيم والاتجاهات النّقديّة المستجدة في مجملها في الغرب هو أنْ نُساعد على تنامي المثاقفة النّقديّة الأكثر اتزانًا ونزوعًا للإبداع...»[28].

لقد قدم لنا المؤلّفان عرضًا للمدارس الأدبيّة المختلفة، مع ذكر المسلّمات الفلسفيّة الكامنة وراء كل مدرسة، ثم يضعان هذه المقولة في السّياق الفلسفي العام للحضارة الغربيّة كقولهما مثلا: «ظهرت البنيويّة كمنهج ومذهب فكري على أنّها رد فعل على الوضع "الذّرى" (من ذرة: أصغر أجزاء المادة) الذي ساد العالم الغربيّ في بدايّة القرن العشرين، وهو وضع تغذى مِن وانعكس على تشظى المعرفة...»[29].

ثم يوضّح المؤلّفان الميتافيزيقا الكامنة وراء مثل هذا الموقف، ذلك هو منهجهما عند ذكر أغلب المصطلحات بل ذهبوا إلى أعمق من ذلك، عند تفصيلهما لاختيار مصطلح دون سواه، وذكر الأسباب الفكريّة وراء ذلك «كما فعلا مع ترجمة "deconstruction" بالتّقويضيّة بدلاً من التّفكيكيّة، فالمصطلح الذي يقترحانه هو تعبير عن رؤيتهما الفلسفيّة العامّة، وعن المفهوم الكامن وراء المصطلح، إذْ أنّ العقل العربيّ حينما يترجم مصطلحًا غربيًا فهو يترجمه حرفيًا، بشكل موضوعي متلقٍ، دون أن يصل إلى المفهوم الكامن وراء المصطلح، أمّا مؤلّفا الدّليل فينظران إلى المصطلح ثم يصلان إلى المفهوم الكامن من خلال عمليّة تحليليّة نقديّة، غير متلقيّة»[30] فمنهجهما في الكتاب يرفض التّلقي الموضوعي السّلبي للأمور، وأراد التّخلص قدر الإمكان من الرّؤيّة المعلوماتيّة المتراكمة السّائدة، وركزا على الرّؤيّة الكليّة الشّاملة للمصطلح والمفهوم.

وقد طُبع الكتاب عدّة مرّات، ونال رواجًا واسعًا، فربما تجاوزت طبعاته الطّبعة الخامسة، كما أنّه يعتبر إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا يجعل هذا المتلقي يتمثلَ النّقد المعاصر وتتشكل له رؤيّة نقديّة عربيّة معاصرة شاملة.

ونجد في هذا الكتاب أهم المصطلحات التّي تُصور نَقدنا المعاصر:

(كالأخر، والأدب الإسلامي ونقده، والأدب المقارن ومستقبله، والاستشراق والاستغراب) فهذه مصطلحات نقديّة يتم تداولها الآن في نقدنا العربي المعاصر، بل قد أصبحت تخصّصات قائمة بذاتها، كان الأمر يستدعي التّعمق في فهم مصطلحاتها وضبط مفاهيمها، ومعرفة تاريخ انوجادها وبدايّة تكونها، ومن النّقاد والفلاسفة الغربيّين الذين تم ذكرهم في تحليل بعض تلك المصطلحات: (غوته، سارتر فوكو، جان لاكان دريدا)، أمّا من النّقاد العرب والمفكرين نجد:(ادوارد سعيد، الطّاهر لبيب، عماد الدّين خليل، سيد قطب نجيب الكيلاني، الطّاهر أحمد مكي، قاسم السّامرائي، حسن حنفي، عزيز العظمة)[31]. ومن المصطلحات التّي عملا على تحديدها نجد: (الانحراف المعرفي، والإنسانويّة ونقدها، والبطريكيّة/ الأبويّة) وهذه مفاهيم مرتبطة بشكل كبير **بالنّقد الحضاري** وهشام شرابي خاصّة وما يُقاربه من نقدنا العربي المعاصر بشكل عام، فمن المنظرين الغربيّين نجد: (جاك لاكان، بورديو، إريك فروم، فوكو)، ومن العرب من حاول تمثّل تلك المفاهيم: (إدوارد سعيد، أركون، ماجد فخري، هشام شرابي، ثائر ديب)[32].

كذلك نجد: (البنيويّة والنّقد البنيوي والبنيويّة التّكوينيّة)، وقد اعتمدا في تمثل وتوصيل هذه المفاهيم على أهم مَن حدّدها وبين فلسفتها، أمثال: (زكرياء ابراهيم وكمال أبو ديب وجمال شحيد وآخرون) بالإضافة إلى بعض الكتب المترجمة أو بعض الأعلام الغربيّين: (لوسيان غولدمان وجونثان كولر وتزفيتان تودوروف)[33].

ومنها أيضا: (التّاريخانيّة الجديدة/التّحليل الثّقافي، والتّأصيل، والتّأويل والهيرومنيوطيقا، والتّحديق والتّحيز والتّقويض ومصطلحاته، والتّنوير ونقده، والثّقافة والدّراسات الثّقافيّة، والجنوسة، وخطاب/تحليل الخطاب

والخطاب الاستعماري والنّظريّة ما بعد الاستعماريّة، والدّراسات التّرجميّة/العبر–ثقافيّة) وهذه مصطلحات مهمّة لمن أراد أن يتخصّص في **النّقد الثّقافي** خاصّة **والنّقد المعاصر والمقارن** عامّة، يجب أن يعرف ما يكمُن وراء هذه المصطلحات ويجب أن يتمثّلها ويعرف أعلامها من العرب(عبد الله العروي، طه عبد الرّحم، مطاع صفدي، عبد الوهاب المسيري، إدوارد سعيد...) أو من الغرب(ميشال فوكو، جيل دولوز أدورنو وهوركهايمر وجاك دريدا...)[34].

ومن **مصطلحات السّيميائيات وعلم السّرد** تم تحديد: (الذّرائعيّة الجديدة والزّمكانيّة والسّرد وعمله والسّيمياء (سيميولوجيا /سيميوطيقا)، وقد تم التّركيز على فلسفة هذه المصطلحات والمفاهيم الكامنة وراءها ومن أهم المنظرين لها من الغرب (تشارلس موريس وتشارلس ساندرز بيرس وجون ديوي وميخائيل باختين وغريماس وتودوروف وجيرار جينيت ورولان بارت وإمبرتو إيكو...)، ومن العرب مَن حاول أن يتمثّل هذه **المصطلحات وعمل على توصيلها** ذكرا (سعيد يقطين وحميد لحميداني وشكري عزيز الماضي وسعيد الزّهراني...)[35].

أمّا ما يتعلّق **بمصطللحات الأدب المقارن والنّقد الثّقافي ونظريّة الأدب** خاصّة والنّقد العربيّ عامّة فقد ذكرا (العالميّة مفهومها ونقدها والعولمة الثّقافيّة، والغنوصيّة وفقه الفلسفة، والقبح، والقدرة/الكفارة، والقدرة الأدبيّة/الكفاءة الأدبيّة، وقلق التّأثير والكرنفال/الكرنفاليّة، واللغزيّة/العمايّة)، ومن الأعلام والمنظرين الغربيين الذين تم الاتكاء عليهم في إدراك تلك المصطلحات نجد (غوته، سوزان باسنيت، فريدريك جيمسون، رينيه إتيامبل، إدوارد سعيد وهومي بابا وأميلكار كابرال وغاياتري سبيفاك وبولين يو وتشينوا أتشيبي، أحمد إعجاز باختين، جونثان كولر...)، ومن العرب من حاول أن يؤصّل لتلك التّخصّصات والمصطلحات تم ذكر (طه حسين، محمّد مندور غنيمي هلال، محي الدّين صبحي، شكري عياد، عبد الرّحمن بدوي، محمّد عابد الجابري، طه عبد الرّحمن، محسن جاسم الموسوي...)[36].

وعملا على **تمثل وتوصيل وإدراك كلي للمصطلحات الشّاملة** فعلى ضوئها يتم فهم المصطلحات الجزئيّة لذلك تطرقا إلى (لوغوس، وما بعد الحداثيّة وما بعد الحداثة، ومرحلة المرآة، والمعتمد (أو القانون) والمغالطّة التّأثيريّة والمغالطّة القصديّة، وموت المؤلّف والمحاذير منه، والنّحويّة/الغراماتولوجيا، والنّص أو الكتابة والنّص المتعالق والنّص المفتوح والنّص المغلق، والنّص المقروء، والنّص المكتوب والنّظريّة الأدبيّة ونظريّة الاستقبال (أو استجابة القارئ)، ونظريّة العماء) واعتمد فى ذلك على أهم المفكرين الغربيين أمثال (جاك دريدا، بول ديمان، جاك لاكان، هارولد بلوم، رولان بارت، جوليا كريستيفا، إيكو، رومان انغاردن هانز روبرت ياوس وفولفغانغ آيزر، نورمان هولاند وجيرالدّ برنس..، أمّا النّقاد العرب الذين حاولوا ترجمة تلك المصطلحات وإدراكها نذكر (محمّد مفتاح، سعيد يقطين، حمادي صمود، يمنى العيد، ميجان الرّويلي،علي حرب، عز الدّين إسماعيل، محسن جاسم الموسوي سعيد علوش..)[37].

وقد اهتما بالمصطلحات العامّة المرتبطة **بالنّقد** وتفرعاته وتنوعاته **وبالنّظريّة النّقديّة** عموما، فتناولا في كتابهما: (النّظريّة النّقديّة ومفهوم النّقد، والنّقد الثّقافي والنّقد الجديد والنّقد الحواري، والنّقد السّياقي، والنّقد الظّاهراتي/الفينومينولوجي، والنّقد الماركسي، والنّقد النّسوي/النّسائي، والنّقد النّفساني والتّحليل النّفسي، ونقد النّماذج العليا/ النّقد الأسطوريّة، والنّقد اليهودي، والهجاء الميبني، والهيمنة/السّلطويّة والواقعيّة السّحريّة) واستندا في ذلك على كتب مترجمة لمنظرين كبار، فبينا أهم أصحاب تلك المفاهيم والمصطلحات وتحليلاتهم لها (ماكس هورمهايمر، تيودور أدورنو، هاربرت ماركوز، يورغن هابرماس، والتّر بنيامين فنسنت ليتش باختين، لوكاتش، التّوسير لوسيان غولدمان، فريدريك جيمسون، ريموند ويليامز...)[38] ونستطيع أن نذكر نحن أيضا مَن جاء بعدهم ولم يتم ذكرهما في الكتاب أو الاعتماد عليهم أمثال: تيري إيجلتون وطلال أسد فقد عمّقا بعض المفاهيم السّابقة.

والجميل في الكتاب أيضا أنّه عند الانتهاء من أي مصطلح يتم تزويد المتلقي بأهم المراجع والمصادر – العربيّة والغربيّة–التّي تم الاعتماد عليها، أو التّي يمكن أن تزود القارئ إدراكا ووعيًا أكبر وأشمل بالمصطلح المدروس.

وآخر ما تمّ التّطرق إليه ومعالجته فكرة **التّفاعل العربيّ مع النّقد الغربيّ المعاصر**، ويعتبر هذا المبحث من أهم الدّراسات التّي قام بها ميجان الرّويلي وسعد البازعي في كتابهما (دليل النّاقد الأدبي)، فبعد ذكرهما وتحليلهما لأهم المصطلحات التّي يقوم عليها النّقد الغربي المعاصر، ورغم ذكرهما لأهم مَن اعتمدا عليه في شرح مصطلح معين من النّقاد والمفكرين العرب إلاّ أنّهما فضلا أن يبينا فكرة التّفاعل العربيّ مع النّقد الغربيّ وتبيين جذور القضيّة وبدايتها وتأسيسها واتجاهاتها ومنظريها ومواقفهم المختلفة والمتباينة.

ففي هذا المبحث تم ذكر أهم آراء النّقاد العرب في العصر الحديث والمعاصر وتحليل رؤيتهم لقضيّة **التّفاعل والمثاقفة** مع الغرب: (طه حسين، العقاد، أحمد أمين سيد قطب، شوقي ضيف، محمّد مندور، لويس عوض، زكي نجيب محمود، محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس، عبد القادر القط، حسام الخطيب، شكري عياد، عبد المجيد حنون، سيد البحراوي، كمال أبو ديب، محمّد برادة، فاضل ثامر، محمّد بنيس حميد لحميداني، ...)[39].

خاتمة: وختاما فإذا كان النّقد **العربي القديم مرتبطًا بالأصل**، فإنّ نقدنا العربيّ **المعاصر متصلٌ بالعصر**–وهذا شيء جميل جدا–. لكنّ المشكلة تكمن في الفجوة و**القطيعة المعرفيّة** الموجودة بينهما، كما لاحظنا من خلال العرض السّريع لسيرورة النّقد العربيّ، رغم أنّ هناك بعض القضايا والمصطلحات (القديمة والحديثة/المعاصرة) متعالقة أو متداخلة مع بعضها البعض سواء من قريب أم من بعيد، كإشكاليّة المصطلح، فإذا كان قدماؤنا فضلوا المصطلح الحي، فكذلك فعل صاحبا الدّليل في أغلب مصطلحاتهما المترجمة، وكجذور مصطلح

التّناص وعلاقته بالسّرقات الأدبيّة...، ومن حقنا أن نتساءل عن سبب هذه القطيعة: هل هو عدم وضوح المنهج في نقدنا العربيّ القديم ووضوحه في النّقد المعاصر؟!. أي هل المشكلة مشكلة منهج؟!، أم المشكلة أعمق من ذلك؟ وهي مشكلة: قديمٌ لا يصلح لما يكتب في عصرنا هذا وحديثٌ لا يصلح لما كُتب قديما!. أو أنّ المشكلة سياسيّة مرتبطة بدخول العرب في حقبة استعماريّة! بحيث جعل الغربُ/الاستعمارُ العربَ ينبهرون بثقافته وحضارته ويتعامون عن حضارتهم ومجد أجدادهم! أم أنّ المسألة بسيطة جدًا هي: أنّ النّقد القديم كان مرتبطا بالشّعر فتوصل إلى عموده! وأمّا النّقد الحديث فهو متصل بالشّعر الحرّ والرّوايّة باعتبار أنّ هذين الجنسين الأدبيين وُجِدا بعد الاحتكاك بالغرب وكسر عمود الشّعر، وبالتّالي لا يصلح أن نُطبق عليهما إلاّ المناهج الغربيّة! أسئلة عديدة يحق لنا طرحها والتّفكير في الاجابة عنها مستقبلا.

الهوامش:

1–ينظر كلمة: "مثّل"، مختار الصّحاح، المعجم الوسيط.

2–محمّد مفتاح، مشكاة المفاهيم: النّقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثّقافي العربي الدّار البيضاء، ط1 2000، ص167.

3–نفسه، ص131.

4–ينظر كلمة: "وصل"، المعجم الوسيط.

5–باتريك شارودو–دومينيك مانغنو وآخرون، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2013، ص111.

6–نفسه، ص120.

7–إحسان عباس، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب: نقد الشّعر من القرن الثّاني حتى القرن الثّامن الهجري دار الشّروق، عنان، الأردن، ط5، 2011، ص11.

8–نفسه، ص18–22.

9–نفسه، ص82.

10–نفسه، ص96.

11–نفسه، ص128.

12–نفسه، ص449.

13–نفسه، ص 97.

14–نفسه، ص 418.

15–نفسه، ص 407.

16–نفسه، ص271–272.

17–نفسه، ص 61.

18–نفسه، ص480.

19–نفسه، ص646.

20–نفسه، ص656.

21–نفسه، ص657.

22–نفسه، الصّفحة نفسها.

23–نفسه، ص75.

24–نفسه، ص35.

25–نفسه، ص660.

26–نفسه، ص206.

27–عبد الوهاب المسيري، في الأدب والفكر: دراسات في الشّعر والنّثر، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة، ط1، 2007 ص311.

28–ميجان الرّويلي–سعد البازعي، دليل النّاقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط5، 2007 ص18–19.

29–نفسه، ص67.

30–عبد الوهاب المسيري، في الأدب والفكر، مرجع سابق، ص312.

31–ميجان الرّويلي–سعد البازعي، دليل النّاقد الأدبي، مرجع سابق، ص21–46.

32–ينظر: المرجع نفسه، ص47–66.

33–ينظر: المرجع نفسه، ص67–79.

34–ينظر: المرجع نفسه، ص80–166.

35–ينظر: المرجع نفسه، ص167–185.

36–ينظر، المرجع نفسه، ص186–218.

37–ينظر، المرجع نفسه، ص 219–298.

38–ينظر، المرجع نفسه، ص299–348.

39–ينظر، المرجع نفسه، ص353–405.